

الليلة الرابعة: البعد القيمي في التراث الامامي "الشخصية الجذابة"

{وَالكَافِرِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}

من الأبعاد المشرقة في الفكر الإمامي: البعد القيمي المستفاد من التراث الإمامي، ومن مفردات هذا البعد "الشخصية الجذابة" فكيف تناولت النصوص الواردة عن المعصومين (ع) فهنا نتحدث عن محاور ثلاثة:

محاور المحاضرة:

(1) في معيار قيمة القيم.

(2) في تحديد مفهوم الشخصية الجذابة ومعالمها.

(3) في مظاهر التعبير عن الشخصية الجذابة.

(1) في معيار قيمة القيم.

وهذا المحور يتضمن مطلبين:

❖ ما هو المعيار في جمال القيمة؟

فمثلاً هناك مجموعة من القيم: الصدق، العدل، التواضع، فما هو سر جمالها؟ هنا ثلاث نظريات في علم الأخلاق:

1. سر جمال القيم في البعد الاجتماعي، فالعدل من هذه القيم التي لها أثر اجتماعي واضحاً ولها دور في نشر الاستقرار والأمن والحقوق وتوزيع الثروات، بينما الظلم سبب في الاحتقان والتدهور الأمني وسبب في تلافي وتردي الحقوق. إذا جمال العدل فيما يضيفه من أثر اجتماعي لذلك نظر القرآن الكريم من هذه الجهة في قوله تعالى: {إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا} وقوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ} لذلك فالعدل جميل والظلم قبيح.
2. أن جمال القيمة بالبعد النفسي وليس الاجتماعي فالصدق جميل حتى لو لم يكن له اثر اجتماعي، فلا تكتسب القيمة جمالها من خلال البعد الاجتماعي فالصدق مثلاً يعطيك التوازن في البعد النفسي وليس الاجتماعي بينما الكذب يعطيك ازدواجاً في الشخصية بين الواقع وبين السلوك، لجل ذلك كان الكذب نقصاً بينما الإنسان الصادق يعيش استفراداً نفسياً، إذا الجمال مستقى من البعد النفسي. لذلك ذكر القرآن الكريم هذه النقطة { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا } فالإنشراح عبارة عن الإستقرار النفسي لشدة الضيق.
3. أن هناك بعداً أعمق من البعد النفسي والاجتماعي وهو البعد الفطري الذي نعبر عنه "بالجاذبية" فقيمة الصدق والعدل والأمانة في جاذبيتها فكيف يكون ذلك؟
عندما نقرأ الكون وهذا الوجود فنرى أن الوجود بأسره يعيش بنظام الجاذبية فلولا الجاذبية لما استقر الكون، لأجل قوة الجاذبية احتفظت الأرض بموقعها والشمس بموقعها ولولا قوة الجاذبية

لحصل تصادم بين الشمس وبقية الكواكب فهي التي تحكم مسار الوجود وهذه القوة يترتب عليها
أثران:

- حفظ التوازن فكل كوكب يعمل في مداره الخاص بدون أن يصطدم بكوكب آخر { لا
الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }.
- أن الكون أسرة واحدة يكمل بعضه بعضاً فالشمس تحتاج إلى هذا النبات والنبات يحتاج
إلى هذه الشمس، القمر يحتاج إلى الأرض والأرض تحتاج إلى القمر وهكذا، فالكون
كله أسرة واحدة يكمل بعضه بعضاً ولكي نفهم الكون والعالم لابد ان نفهم انه أسرة
واحدة.

فكما أن الكون تحكمه قوة الجاذبية فالمجتمع الانساني ايضاً تحكمه قوة الجاذبية والانسان عضو في هذه
المؤسسة الكونية فكما أن الكون يسير على الجاذبية المجتمع الانساني يسير على الجاذبية، فعندما خلق
الانسان أودع فيه هذه الجاذبية فكل انسان يمتلك عنصر جذب للأخرين واكتساب الآخرين فكيف خلقه
جذاباً؟ {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} خلقه وهو ينزع نحو الصدق والأمانة والعدل
والتواضع وكل هذه الصفات تشترك في نقطة واحدة ألا وهي الجاذبية.

نعود لسؤالنا الأول: لماذا هذه القيم جميلة؟ وما هو سر جمالها؟ سر جمال القيم في جاذبيتها فالصدق والعدل
والتواضع واللطف لها جاذبية من فطرتها لذلك قال القرآن الكريم مخاطباً رسوله (ص) {فِيمَا رَحِمَهُ مِّنَ اللَّهِ
إِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} وقال القرآن الكريم {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا
الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}.

2) في تحديد مفهوم الشخصية الجذابة ومعالمها.

ما معنى الشخصية؟

الشخصية هي الصورة المنتظمة عن سلوك الانسان وهي تعكس أصول ثلاثة في شخصية الانسان: العادات
والأفكار والاهتمامات. فالصورة المنتظمة لسلوكه الدائم هي شخصيته ولأن السلوك يكشف عن الأبعاد الثلاثة.
الجذب: هو عبارة عن الكاريزما وهي كلمة يونانية تعني هبة الله وهي قدرته على الجذب، وهو عبارة عن التأثير
في الآخرين تأثيراً إيجابياً إما عبر التواصل الفكري أو العاطفي.

من يمتلك قيمة من الأخلاق والتواضع بحيث يؤثر في الناس تأثيراً عاطفياً ومن يمتلك فكر وثقافة يؤثر في الناس
تأثيراً فكرياً ولذلك ورد عن الإمام أمير المؤمنين (ع): ((قيمة كل امرء ما يحسنه)) والقرآن الكريم يشير على هذه
الشخصية الجذابة {أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ} فالنور هو الجاذبية.

ما هي معالم الشخصية الجذابة؟

❖ قراءة الذات قراءة موضوعية.

فكل انسان عنده صفات حسنة وصفات غير حسنة، فإذا قرأت ذاتك قراءة موضوعية تعاملت مع ذاتك
معاملتين: معاملة في الصفات الإيجابية بتحفيزها ومعاملة في الصفات السلبية بمعالجتها وتخفيفها. ورد
عن النبي (ص): ((من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن))، ماسلو يقول أن 90% من الناس
الناجحين هم الذين قرأوا أنفسهم قراءة موضوعية.

❖ إفاضة الرحمة.

فالشخصية الجذابة كلها رحمة وحنان وعطف وتفيضها على الآخرين، ورد عن أمير المؤمنين (ع):
 ((قلوب الرجال وحشية فمن تألفه اقبلت عليه)) ولا يمكن تحويل هذا الألف إلا بالرحمة والعطف. يقول علماء النفس طبقاً لقانون التطابق بين الداخل والخارج ينبغي أن تنطلق من خلال تجميل الداخل والباطن، فكل إنسان – يقول وليام جيمس – يعرف أن خارجه يثار بداخله، كي تنطلق من الداخل إلى الخارج لابد من أن تصفي الداخل وتنظف الفكر وهذا القانون تحدث عنه علي (ع): ((ما أضمر امرء في قلبه شيء إلا وظهر على قسمات وجهه أو فلتات لسانه)) ولأجل ذلك علينا بتغذية العقل الباطن. قم بالتلقين النفسي للعقل الباطن وأنه لا شخصية لك إلا بالصدق والأمانة والعدل، فإذا قمت بتلقين هذه الصفات لعقلك الباطن مرة بعد مرة تصبح الخصال والقيم ميولاً مختزنة في عقلك الباطن وسيتحول إلى مظهر وسلوك خارجي، القرآن الكريم يقول {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ} فالتدريب السلوكي يقول {وَالْكَافِرِينَ الْعَظِيمِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} حتى تكون شخصية جذابة فهناك خطوات ثلاث لتصبح هذه الشخصية جذابة:

- **كظم الغيظ:** أي إزالة التوتر من النفس، فإذا تعرض إلى إساءة جسدية أو كلامية يصبح متوتراً فيحتاج الانسان إلى أن يزيل هذه الحالة بكظم الغيظ بالسيطرة على الأعصاب والإنفعالات إلى حالة الهدوء والاستقرار.
- **العفو عن الناس:** هذه الخطوة أثرها تجاوز الذات فالإنسان بطبعه أناني يحوم حول نفسه فكيف يتجاوز الإنسان ذاته؟ بالعفو الصادق فهو خطوة تربوية مهمة لتتحول إلى شخصية جذابة {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}.
الإحسان: ليس فقط أن اسيطر على أعصابي وليس فقط أعفو عنك وإنما أعطيك بلا مقابل، هذا هو الإحسان وهو التضحية والعطاء والسخاء بلا مقابل، وكما ورد عن النبي (ص): ((إن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها))، ورجل شامي معبأ من الإعلام الأموي بصورة مشوهة عن الإمام علي وأبنائه فلما رأى الحسن في المدينة سأل من هذا الشخص فقيل له هذا الحسن بن علي فقال: هذا الذي فيه وفي أبيه فسب الإمام (ع) وشتم الحسن وأباه، فلما انتهى من سبابه وشتمه قال له الحسن (ع) يا هذا لعلك غريباً ولعلك اشتبهت فينا فإن كنت عطشاناً أرويناك وإن كنت جائعاً أشبعناك وإن كنت طريداً أريناك وإن كنت فقيراً أغنيناك فهلا حولت رحلك إلينا ونزلت فينا فإن لنا منزلاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً وفيراً ثم قبض على يد الرجل وأخذ به إلى بيته وأكرمه وأضافه فما تمالك الرجل حينما رأى النبل والتواضع إلا أن انكب على يديه يقبلهما وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته فيكم أهل بيت النبوة.

❖ الحب

هو جوهر الشخصية الجذابة وتعريفه النزوع إلى الشيء فأحب فلان أي أن نفسي تنزع إليه، والانسان ينزع إلى أطراف ثلاثة: نزوع نحو نفسه ونحو الله ونحو الإنسان الآخر.
 من أين تولد هذا النزوع الثلاثي للإنسان؟
 فالإنسان نفة من روح الله {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي} فانه عز وجل عندما خلق الإنسان جعله هبة الله ومظهر له وبما أن الله هو الجمال الحقيقي وهو الكمال الحقيقي فتجده بفطرته يولد وهو يحب الكمال لذلك فهو يولد وهو يحب نفسه لأن نفسه صورة من صور الجمال. ويولد وهو يحب إنساناً آخر

ويولد وهو يحب أمه وأباه وإخاه وزوجته ولأن الإنسان الآخر خلق من روح واحدة ونفخة واحدة فهو يعيش فطرة الحب الثلاثي لذلك قال الله تعالى: { إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ } أي أنه يميل إلى الله عز وجل فالحب جوهر الشخصية الجذابة وسرها.

3) في مظاهر التعبير عن الشخصية الجذابة.

هناك لغات ثلاث:

1. **لغة الحرف:** فكيف تعبر عن حبك للناس؟ وحتى تتحول إلى شخصية جذابة هناك ثلاثة أصناف من

التعبير:

- **السلام:** ورد عن الإمام علي (ع): ((أبخل الناس من بخل بالسلام)) فهو مفتاح العلاقة وبذرة الانفتاح على الآخر، فالسلام يعكس أنك تحمل نفس طيبة.
- **الكلمة الطيبة:** { وَفُؤَلُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا }، { مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ }، { وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ } فالكلمة الطيبة تزرع الحب وتزرع الدفء وتزرع الجاذبية.
- **التعبير عن الحب:** فكثير من الناس يعتبر كلمة "إني أحبك" كلمة ثقيلة! فقد ورد عن الإمام الباقر (ع): ((إذا أحب أحدكم شخصاً فليظهره على وجهه فإنه أوثق للمودة بينكما)) فهذا التعبير له دلالات متعددة فهو يزيل الاحتقان والاضطراب من نفسك ويزرع الدفء والحنان في قلب غيرك فينجذب إليك فلا إفراط ولا تفريط ومن دلالاته أنه يزرع الأخوة بين أبناء المجتمع وقال تعالى { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ }.

2. **لغة الوجه:** طلاقة الوجه والمحيا أمر تأمر به النصوص الشريفة فهو مظهر من مظاهر الشخصية

الجذابة. علماء النفس يقولون عند النظر إلى الطفل من أي إنسان تجده بيتسم، لأن الطفل مظهر الجمال ومن دون اختيار وإرادة فأنت ترى في نظرة الطفل الصدق والبراءة. لأجل ذلك لكي تزرع الجمال في شخصيتك ابتسم للأخرين حتى يدركوا هذا الجمال وهذا الصدق، ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (ع): ((انقباض الوجه مكسبة للعداوة)) وورد عن الرسول (ص): ((حسن البشر يذهب بالسقيمة)).

3. **لغة الجسد:** بالمصافحة العميقة فهو تعبير حيوي عن الحب والشخصية الجذابة، فقد ورد عن النبي (ص):

((صافح عدوك وإن كرهت)) فمصافحة عدوك تعبير عن ثققتك بنفسك وأن قلبك معطر بالطيب وأنت ذو شخصية رزينة وهادئة فالشخصية الجذابة التي تمثلت في تاريخ أهل البيت ورواياتهم تبرز أهمية هذه الشخصية حتى الأبطال الذين تربوا على يد أهل البيت (ع) وغذاء أهل البيت (ع) كانوا يتمتعون بالشخصية الجذابة ومنهم مسلم ابن عقیل.